République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

فن الرحلة في الأدب العربي القديم

-ابن بطوطة أنموذجا-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

*- زينة زميش

*- سارة عوينة

إشراف الأستاذ:

*-د ناصر بعداش

السنة الجامعية: **2018/2017**

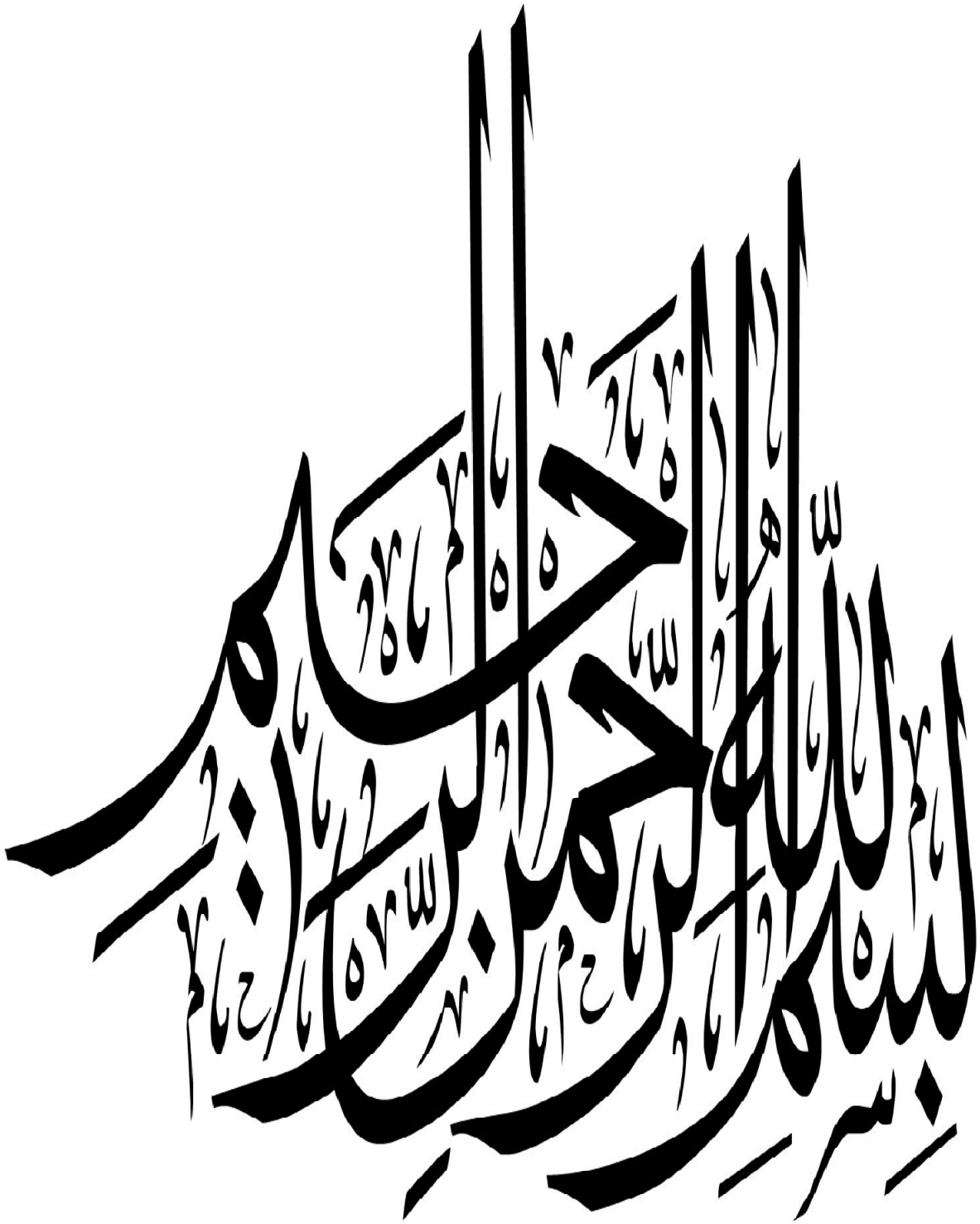
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : (**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**) صدق الله العظيم

سورة الشورى { الأية :10 }

دعاء

" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ "

صدق الله العظيم

اللهم علّمنا أن نحب الناس كلهم كما نحب أنفسنا ، وعلّمنا أن نحاسب أنفسنا كما نحاسب الناس ، وعلّمنا أن التسامح هو أكبر مراتب القوة وأن الانتقام هو أول مظاهر الظلم .

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا ، بل ذكّرنا دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا ، وإذا أسأنا إلى الناس فامنحنا شجاعة الاعتذار وإذا أساء إلينا الناس فامنحنا شجاعة العفو.

"يارب"

شكر وعرفان

لقد رفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات ولئن كتبت شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر والعرفان؟ وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات؟ فما علي سوى اختصارها في هذه العبارات: فكل الشكر

إلى أستاذي المشرف "ناصر بعداش" ، منبع المعرفة والسراج أنار دربي فكل الشكر والاحترام له.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذة معهد الآداب واللغات وإلى كل من ساعدني لإتمام هذا البحث سواء من قريب أوبعيد

فاللهم بارك لي في عملي هذا واجعلني ممن يحبون العلم والعمل ويتبعون أحسنه

مقدمة

مقدمة:

الأدب متعة وضرورة وعمل جمالي واجتماعي، يجمع بين العذوبة والفائدة، وبين الخاص والعام ويستخدم اللغة استخداما إبداعيا منظما، غايته التعبير الخاص عن الإنسان الاجتماعي والإنسان المطلق، والبحث في جوهر الحياة واكتشاف العالم وفهمه، ودفع حركة التقدم الإنساني، واستشراف مستقبل أفضل، خلق الله الإنسان محبا للحركة والتنقل، وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك، والجسم القوي الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر بحثا- في البداية- عن طعامه وشرابه، هربا من القوى المعادية، وقد بدت له عاتية مخيفة ،سواء كانت الطبيعية من برق ورعد وعواصف أو فيضانات وزلازل وبراكين، أو كانت حيوانات ضخمة كالديناصورات والأفيال، أو مفترسة كالأسود والنّمور والذئاب.

فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وقد هيَّأه الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته، تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى.

فالإنسان بطبعه في كل الأحوال، لا يكف عن السؤال ... كيف، ولماذا؟ ومع تقدم الوعي وتجدد الحاجات، تزداد رغبة الإنسان في السؤال، وفي الانتقال والسفر، وتنوع الأغراض التي تدفع لهذا السفر.

وإذا كان العالم اليوم قد أصبح قرية صغيرة، فإن العالم في الماضي، كان قرى كثيرة مبعثرة فوق رقعة هائلة من المعمورة، ولم يكن من سبيل لمعرفة الأحوال خارج القرية الواحدة إلا بالترحال.

فإن الإنسان في حياته الدنيا بحاجة ماسة إلى الرحلة والانتقال، الذي حققته جملة من خيرة ما أنجبت الأرض وغطت السماء من المفكرين والأدباء الذين بفضلهم عرفنا أماكن تناستها المسافات وطمست معالمها الحضارات التي لا يفرق مستبدوها بين الضعيف

والقوي، فهذا الانتقال عرّفنا على عوالم ما كنّا لندرك وجودها لولا تفضل هؤلاء الأشخاص وتحمّلهم متاعب السفر بين أصقاع المعمورة.

ومن بينهم ابن بطوطة الرحالة المغامر الذي جال معظم أصقاع البلاد من أولها إلى آخرها، وكان أمير الرحالة المسلمين كما تلقبه جمعية " كمبردج" في كتبها وأطالسها.

ونظرا لأهمية هذه الشخصية الفريدة من نوعها فقد حاول الكثير من الباحثين من عرب ومستشرقين في البحث حول هذه الدراسة أما المستشرقين فمنهم من أثار شكوك حول صحة حصول رحلات ابن بطوطة وأسفاره، ومنهم من آمن به واعتذر له بشتى الوسائل والحجج، أما الباحثون العرب، فقد اتخذوا من ابن بطوطة مثلا يحتدى به في الأمانة والصدق، ونظرا لأهمية هذه الدراسة فقد كان موضوع بحثنا هو " فن الرحلات في الأدب العربي" وقد خصّصنا بالذّكر "ابن بطوطة" من خلال كتابه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المعروف "برحلة ابن بطوطة".

واختيارنا لهذا البحث كان لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية، أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في:

_ قلة الدراسات المتعلقة بهذا النوع من الأدب.

_ إشباع الفضول العلمي المتمثل في معرفة الأخبار حول العالم ومعرفة عادات وغرائب البلدان ومعرفة الأماكن الجغرافية التي لم نعرفها من قبل، وحب الاستطلاع .

_ وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع " الرحلة "، لأنه موضوع زاخر بالقيم التاريخية والدينية عبر العصور.

أما الأسباب الذاتية فتتمثل في:

_ إعجابنا وتعلقنا بهذا الكتاب وهذا الأدب المروح عن النفس ، والرغبة في التعرف أكثر على هذا النوع من الأدب.

_ الرغبة في الغوص أكثر في غمار هذا الأدب.

-إعجابنا وولعنا بهذا الرحالة المغامر والرغبة في الإبحار معه في مختلف رحلاته.

وبناءا على هذا نجد أنفسنا أمام إشكاليات رئيسية مفادها:

_ ما مفهوم الرحلة؟ وما هي أهم عناصرها؟، ما هي أبرز دوافع الرحلة؟ وما هو موقع الرحلة أو تعريفها في القرآن والسنة؟، وكيف ندرس البعد الفني في رحلة ابن بطوطة؟..

وقد اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي لكونه الأنسب لرصده طبيعة الرحلة في رحلة ابن بطوطة وبعدها الفني في الأدب.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على خطة بحث منهجية تتمثل في مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول الذي عنون بـ " الرحلة معناها، أنواعها وتطورها" وتم التطرق فيه إلى مجموعة من العناصر تتمثل في: تعريف الرحلة، مفهوم أدب الرحلات، دوافع الرحلة وأسبابها الذاتية والعامة، مفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنواع الرحلات: (الرحلة الدينية، الرحلة العلمية، الرحلة التجارية، الرحلة الرسمية) .

أما الفصل الثاني فعنوانه: " رحلة ابن بطوطة "، وهنا تم قص رحلة ابن بطوطة الدينية إلى الحج وذكر بعض الأماكن التي زارها ابن بطوطة في رحلته هذه، كما تطرقنا إلى البعد الفني في رحلته ونذكر ما تطرقنا إليه: أولا: رحلة ابن بطوطة إلى الحج وجاء فيها: (ذكر المسجد النبوي الشريف في المدينة، ابن بطوطة يذكر المنبر الكريم، ذكر الخطيب والإمام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكر مدينة مكة المعظمة، ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه، ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما، ذكر الميزاب المبارك، ذكر الحجر الأسود، ذكر زمزم، ذكر الصفا والمروة، ذكر شعائر الحج وأعماله ،ذكر كسوة الكعبة، وأخيرا ذكر بعض المكارم وأخلاق أهل مكة المكرمة). ثانيا: البعد الفني والجمالي في رحلة ابن بطوطة (من حيث الموتيف، الخيال الفني والتاريخي).

وخاتمة اشتملت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة، متبوعة بقائمة المصادر والمراجع التي ساعدتنا بشكل كبير في فهم النص، وملخص باللغة العربية والفرنسية.

واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر البعض منها: كتاب رحلة ابن بطوطة، أدب الرحلة عند العرب، أدب الرحل في المغرب والأندلس، أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل.

أما أبرز الصعوبات التي واجهتنا:

_ قلة الدراسات السابقة حول أدب الرحلة العربي كنوع متميز له خصائصه وهويته والذي يعتبر منبعا يمكن الاستفادة منه.

_ تشعب المادة العلمية وتراكم المعلومات.

وفي الأخير نتقدم بالشكر إلى من ساعدنا بكل ما يحمله من صبر وسعة الخاطر الأستاذ المشرف " ناصر بعداش" الذي لم يبخل علينا بنصائحه السديدة ولا بمعلوماته القيمة، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد، كما نقدم شكرنا إلى لجنة المناقشة لقراءتها لهذا البحث والإطلاع عليه وسوف نكون ممنونين لهم لو أفادونا ببعض النصائح القيمة.

ونتمنى أن يكون هذا البحث وفق ولو بقليل فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والله خير المستعان.

الفصل الأول:الرحلة

(معناها،أنواعها و تطورها)

الفصل الأول:الرحلة(معناها، أنواعها وتطورها)

1-تعريف الرحلة

أ-لغة

ب-إصطلاحا

2-مفهوم أدب الرحلات

3-دوافع الرحلة وأسبابها

أ-دوافع ذاتية

ب-أسباب عامة

4-مفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية

5-أنواع الرحلات

أ-الرحلة الدينية

ب-الرحلة العلمية

ج-الرحلة التجارية

د-الرحلة الرسمية

الفصل الأول: الرحلة (معناها، أنواعها و تطورها)

أدب الرحلة لون أدبي ذو خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى ،فهو وإن كان يتفق مثلا مع الرواية في الإفادة من المعطيات الفنية ويشاكلها في السرد والوصف أحيانا،فإنه يختط له خطا متميزا، إذ يجمع إلى جانب ما سبق عناية برصد الواقع كما هو، دون اللجوء إلى الخيال إلا في إطار محاولة اختيار الأسلوب، وتقديم الواقع في ثوب أدبي، وهو إلى ذلك يقدم المعلومة في ثوب أدبي حتى ليمكن أن نعد الفائدة والمتعة، وجهين لعملة واحدة هي "أدب الرحلة".

1/-مفهوم الرحلة:

أ- لغة:

الرحلة حركة انتقال لشخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر، وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة، و إذا اعتبرنا أن الحجم الذي تحتله مادة ما في معجم لغوي دليل على أهميتها،فإن مادة "رحل" نالت اهتماما خاصا من "صاحب اللسان"، باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع، ونابعة من واقع البيئة العربية. جاء في(لسان العرب) أن:

- (الرحيل الارحال) بمعنى الإشخاص والإزعاج يقال :رحل الرجل إذا سار، و أرحلته أنا ورجل رحول، وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا ورجل رحال: عالم بذلك مجيد له ... والراحل من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال... وناقة رحيلة أي: شديدة قوية على السير و ارتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق، حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل، وهو راحل من قوم رحل.

رحل: الرّحْلُ: مركب للبعير والناقة وجمعه ارحل ورحال، قال طرفة ابن العبد:

جازت البيد إلى أرحلنا آخر الليل بتعفور خدر[1]

و الرّحَالةُ نحوه، كل ذلك من مراكب النساء.

[1]- محمد فوزي حمزة:دواوين الشعراء العشرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص61.

وأنكر الأزهري ذلك، فقال: الرَّحْلُ في كلام العرب على وجوه، قال سمر: قال أبو عبيدة: الرَّحلُ بجميع ربضه وحقَبه و حلسه وجميع أغراضه، قال: ويقولون أيضا لأعواد الرَّحل بغير أداة رَحلٌ وأنشد:

كـــأن رحلـــي وأَدَاةَ رحلـــي على حزاب كأتَّان الضحل.

عند ابن سيده:الرُّحلَةُ السفرة الواحدة، والرحيل اسم ارتحال القوم للمسير قال:

أَمَّا الرّحيلُ فدون بعد غـد فمتى تقول:الدَّارَ تجمعنا؟

والرحيل :القوي على الارتحال والسير، والأنثى رحيلةٌ.[1]

-(و المرحلة : المنزلة يرتحل منها، ومابين المنزلتين مرْحَلَة).[2]

وعند ابن منظور(ت711هـ)، "(رحل الرجل إذا سار، ورَحُلُ رحولُ، وقَوْمٌ رُحَّل؛ أي يرتحلون كثيراً، ورجُلٌ رحَّالٌ: عالمٌ بذلك ومجيدٌ له(...)، و الترحُّل والارتحال: الانتقال، والرحلة: اسم للارتحال، وقال بعضهم: الرّحلة: الارتحال، والرُّحلة بالضم: الوجه الذي تأخد فيه وتريده".[3]

<u>وفي المعجم الوجيز</u>:

الرُحَالُ: العرب الرحال، اللذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى .

- الرحالة : الكثير الرحلة. الرحل: العرب الرحل: الرحالة.
- الرحول: كثير الارتحال، رحل عن المكان. رحلا ورحيلا و ترحالا.

[1]ابن منظور:لسان العرب، تح ،عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف،كورنيش النيل، القاهرة، د.ط،1119م،ص1611-1608.

[2]-المرجع نفسه:ص1609.

[3]-ابن منظور: لسان العرب، تح: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، ج3،(مادة رحل)، د.ط، د.ت، القاهرة، ص1608.

- و رحلة: سار ومضى، أرحل فلان كثرت رواحله فهو مرحل.[1]

وفي المعجم الوسيط:

الرحلة: الارتحال"ج" رحل، وفي التنزيل العزيز: "**رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفْ**" [2]. وكتاب يصف فيه الرحالة ما رأى وبعير ذو رحلة: ذو قوة على السير.

الرحول: كثير الارتحال. والراحلة، الرحولة :الراحلة.[3]

فمهما اختلفت المعاني في استخدام كلمة"رحل" و توظيفها تبقى ذات دلالة واحدة وهي الانتقال والسفر.

ويلاحظ على هذه المادة ما يلي:

أ- أن مشتقات المادة جميعا تدور حول محور واحد وهو الحركة، و الرحلة في جوهرها حركة وانتقال.

ب- أن التقليبات المختلفة للمادة مثل : حرل، لرح، لحر... غير مستعملة في العربية، ولعل هذا يعود إلى استئثار تلك المادة- بهذا الترتيب- بالنصيب الأوفر من حيث الاستخدام، مما أدى إلى الجور على التقليبات الأخرى.

ج- اسم الفاعل من رحل: راحل، وصيغة المبالغة: رحال. وهذه الصيغة كانت اسما أو لقبا لبعض الجاهليين، كعروة الرحال. الذي كان سببا في يوم "الفجار"، وكذا أورد "ياقوت" في معجمه هذا الاسم. "رحال ابن عنقرة".[4]

وقد تزداد التاء للمبالغة، فيقال: "فلان الرحالة" ولكن هذه الصيغة تختلط مع جمع التكسير حين نقول: "الرحالة المسلمون" ولذا يفضل الاكتفاء بالصيغة الأولى دون زيادة التاء، حتى لا تختلط بجمع التكسير .

---

[1]-مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مصر، ط1، 1980م، ص258-259.

[2]- سورة قريش: الآية،2.

[3]- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص335.

[4]- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط1، 1993م، ص24.

ب/ اصطلاحا :

عرف "الإمام الغزالي" السفر والرحلة- بأنهما: "نوع حركة ومخالطة "أو : "نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة"،وأوضح أن "الفوائد الباعثة على السفر لا تخلوا من هرب أو طلب وأن الإنسان لا يسافر إلا في غرض،والغرض هو المحرك"[1] .

وعرفها "بطرس البستاني" بأنها: "انتقال واحد- أو جماعة - من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة" [2].

وتقدم الدكتور "صلاح الدين الشامي" خطوات حيث عدها "انجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين، ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر...وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان وترضيه، وقد تكون احترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه ولكنها تكون- في الحالتين- استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعو بكل الإلحاح للحركة والتنقل"[3].

إن التعريفات السابقة تجمع على أن الرحلة في جوهرها حركة وهذه الحركة ذات هدف - وإلا كانت سفها- قد يتحقق وقد لا يتحقق، وسيتم- في الحالتين كلتيهما- اكتساب خبرات علمية وفكرية ناجمة عن المخالطة وبذلك يتم التقابل بين الرحلة في اللغة والاصطلاح حيث يجمعهما أنهما "حركة".[4]

[1]- الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ، مكتبة الدعوة الإسلامية (القاهرة)، دار ابن حزم، ط1، 2005م، ص24.

[2]- بطرس البستاني: دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، ج7، د.ط، 1883م، ص24.

[3]- د. صلاح الدين الشامي: عالم الفكر، دار صادر، بيروت، ط1، 1992م، ص13.

[4]- د.ناصر عبد الرزاق موافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)، جامعة القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، مكبة الوفاء، ط1، 1995م، ص25.

جمع المصطلح صياغة رحلة على ما حددته المفاهيم على أنه انتقال شخص أو مجموعة من الأفراد من البلد الأم إلى البلدان الأخرى، إما أن تكون بلدان شقيقة أم بعيدة وغالبا ما يكون الرحالة بمفرده كابن بطوطة والحسن الوزان وابن جبير...وغيرهم. فالرحلة تحدد حسب ميول الفرد إلى ما يود الارتحال لأجله فهناك من يرتحل للتجارة والعمل وغير ذلك وهناك من يرتحل من أجل الاستزادة في العلم والمعرفة، كما هي حال الرحالة المفكرين، فالرحلة عند جميع هؤلاء هي أفكار ومقاصد ذاتية، لهذا فالرحلة هي تصوير الكاتب لما جرى له من أحداث عند تنقلاته من مكان إلى مكان، وكذا نقل حي لكل اختلاف أو رغبة ورصد عادات وتقاليد ونمط عيش في مختلف البلدان.

2/-مفهوم أدب الرحلات:

أدب الرحلات بكسر الراء وتسكين الحاء كما أورده مجدي وهبة في معجمه[1]"من أبرز المصطلحات التي تنسب الأدب إلى موضوعه[2]،وهو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد[3]، وهو من المصطلحات الفضفاضة إلى حد كبير، إذ يحوي موضوعين كبيرين هما:موضوعه الأدب "الأدبية"بما هي مفهوم فني جمالي ، وموضوعه الرحلة كوصف بما هي تجربة"تعلن عن سرد الأسفار وتتضمن معنى الذهاب بعيدا عن المواطن الأصل كما تفتح أفق انتظار يرتبط بالنوع نفسه، أي أن القارئ ينتظر وصفا للبلدان التي زارها صاحب الرحلة، وينتظر

[1]- وهب مجدي: معجم المصطلحات الأدب(إنجليزي،فرنسي،عربي)، مكتبة لبنان، لبنان ، ط1، 1974م، ص577.

[2]- إيميل بديع يعقوب، ميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة و الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط1، 1987م، ج1، ص60.

[3]- عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997م، ص72-73.

القارئ كذلك ذكر لخصائص البلدان وطقوسها وعاداتها، والرحلة جولة في الفضاء، والرحلة وصف[1]، وقد يكون وصفا ماديا لكل ما يراه الرحالة، وقد يكون معنويا لكل ما يعانيه من مشقة.[2]

فالرحلة انتقال وتغيير للمكان، وهذا الانتقال يحمل على عملة ذات وجهين متلازمين هما الزمان والمكان، فالمكان هو الفضاء الذي ينتقل إليه الرحالة كبلد آخر أو عالم آخر"بمحض الخيال "فهذا البلد هو ما يلحظه المرتحل في هذا المجتمع من ثقافة ومن جوانب شتى أساسها هذه الثقافة، وكل ما ينتج عنها من لغة تواصل وتخاطب، ومن عادات وتقاليد آنية تبرز من ماض بعيد حافظ عليها هذا الآخر،من طبائع وموروثات اثنولوجية بنيت عليها الملامح الكبرى لهذا المجتمع. فالرحلة وإن كانت ذلك الانتقال من مكان إلى مكان تبدأ بشد الرحال وتنتهي بالعودة إلى الديار، فهذا لا يعني أنها تقاس بنقطة البداية و الانتهاء والمدة الزمنية بينهما، وإنما تقاس بما سيقدم بين هاتين النقطتين من الأماكن المتباينة فالحيز الزمكاني الذي تبنى فيه الرحلة هو الأصل الذي يستقي منه المرتحل مادة الرحلة لديه.

الرحلة "إذن ظاهرة أدبية، تتداخل فيها عدة عناصر أدبية وخارج أدبية، فهي الشكل النصي المفتوح وذلك نتيجة مجموع مكونات اجتماعية، وثقافية وسياسية متداخلة، ونسيج متفاعل يشكل نصا يتموقع في ملتقى علامات شديدة التجدر في حقول تعبيرية شتى، وعبر أنواع متقاربة ومتباعدة تحمل في العمق رابطا خفيا يوحدها ويتجسد الأثر الشخصي للخبرات الإنسانية، الأمر الذي يعطي هذا التعدد الأنواعي والبصمات المميزة بعدا منفتحا على شرايين وقنوات تتغدى من الأشكال الفنية النثرية،ومن التاريخ والجغرافيا والمذكرات والتراجم...والاسترسال في السير والتعليقات التي تعطي للحكي طابعا مزدوجا بين التقرير و الانسياب والوصف"[3]

[1]– عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، ص72–73.

[2]– ينظر: الخامسة علاوي: العجائبية في أدب الرحلات–ابن فضلان أنمودجا–، دار السويدي للنشر والتوزيع،الإمارات العربية، أبو ظبي،د.ط ،2011م، ص13.

[3]– لخضر حشلاني وآخرون: الرحلة المغربية قضايا و ضواهر، دار الضحى للنشر والإشهار، الجلفة،الجزائر، ط1، 2017م، ص44.

3/-دوافع الرحلة وأسبابها:

يحرك الرحلة ويخرجها شيئان:

ا- دوافع ذاتية

ب- أسباب عامة

الدوافع الذاتية هي الأساس الذي تبنى عليه الرحلة، ثم تأتي الأسباب الظاهرية، والعامة لتكون مبررا مقبولا للقيام بهذه الرحلة.

الأساس أن الرحلة غاية، وأنها ضرورة بمعنى أنها ليست – في حال الرحال الأصيل- ترفا ولا سببا لنيل شهرة. إنها (عادة ضارة) كما يقول أحد الباحثين، ولكن هذا الضرر قد يتحول إلى نفع إذا أفلحت في تحقيق أهدافها.

والمقصود بالضرورة هنا:" الضرورة الذاتية التي تدفع الإنسان للرحيل رغم أنها قد تكون مضادة لرغباته، أو منافية لتوجهاته العقلية، ومخالفة لاستحسان الآخرين... وربما كان في نية الرحال أن يعود عندما يرضي بعضا من فضوله وحب استطلاعه وعندما يخمد حافزه لرؤية الأقطار الأخرى وسكانها ولكن الرحلة من اجل الرحلة ذاتها كالإبحار الممتع، أو مجرد طوف الأرض، ليست إلا المحركات الطبيعية للرحلة".[1]

بمعنى أن الرحلة يحركها جملة من الدوافع المختلفة التي تدفع بالفرد للتنقل والترحال. فتعتبر الرحلة "حالة عقلية" بمعنى أنها ليست ضربا من تغييب الوعي، بل هي محاولة لإعادة هذا الوعي في صورة قوية .

[1]- ناصر عبد الرزاق موافي : الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص27.

حيث توجد جملة من الأسباب الشخصية، التي تدفع بالرحال للترحال وهي كالتالي:

1- الكشف عما يجمع ولا يفرق عما هو أصيل غير عارض عن حقيقة الكون.

2- الرغبة في العزلة والتأمل لأنهما اثنتان من الحاجات الضرورية اللازمة لأي شخص مفكر وما يسمى بحالة الانشراح. لا يمكن انتظارها بل يجب أن نسعى إليها بأنفسنا[1].

3- البحث عن الجمال المفقود والسلام المنشود، والفوضى الفطرية.

4- الوحي والإلهام من أجل الابداع، حيث كان بعض الشعراء العرب يرحلون إلى البادية إذ تعذر عليهم قول الشعر، فتعمل الصحراء الخالية على تصفية الذهن وتوحيد القريحة.

5- وقد يكون الملل الناجم عن الحياة الرتيبة التي يحياها الإنسان دافعا لرحلة والرغبة في التجديد والتغيير قد تلح على الترحال فتقضي مضجعه وتقلق باله فلا يستريح إلا إذا خطا الخطوات التنفيذية من أجل الرحيل .

6- إرضاء لفضوله وحب استطلاعه.

7- طلب الشهرة من دوافع الرحلة .

8- اعتبار الرحلة مصدر حي من مصادر زيادة الخبرات،فالكثير يلجئون إليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية على مواجهة الحياة في مختلف الظروف[2] .

9- و قد تكون الرحلة من أجل طلب العلم حيث تعتبر وسيلة للإيمان، أو لتثبيته وتأكيده وذلك من خلال ما يراه الرحالة من عجائب وغرائب وبديع الصنع.

10- و قد تكون الرحلة من أجل القيام بأعمال رسمية، خدمة للدولة التي ينتمي إليها الرحال، كالسفرات الرسمية ورحلات البريد.

11- و قد تكون ظروف تاريخية داعية للرحلة كتحرير القدس.

[1]- ناصر عبد الرزاق موافي: الرحلة في الأدب العربي -حتى نهاية القرن الرابع هجري-، ص27.

[2]- المرجع نفسه: ص28.

12- و قد تكون الرغبة في الجهاد أو تأديب الخارجين.

13- وقد تكون من أجل التجارة والكسب المادي بعامة.

14- وقد تكون من أجل تأدية الفرض أو فرائض دينية كالحج .

15- وقد تكون من أجل نشر الدين والدعوة إليه.

16- وقد تكون الظروف التي تمر بها سببا في الرحلة، خاصة إبان قوة تلك الدولة وازدهارها الحضاري مما يحفز مواطنيها على رؤية البلاد الأخرى .

17- وقد تكون دوافع صحية كالعلاج والسفر للاستشفاء، وإراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية.[1]

4/- مفهوم الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية :

لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا وحثه على فعلها، ومنها الرحلة. سواءا أكانت للعلم أو للهجرة بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام أو الحج أو التجارة.

وفي بداية الحديث عن الرحلة لابد من التطرق إلى أولى الرحلات الثابتة لدينا والمستقاة من أوثق وأصدق مصادرنا الإسلامية ، وهو القرآن الكريم .فقد حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع منها، على الرغم من عدم ورود لفظ رحلة فيه إلا مرة واحدة في سورة قريش .قال تعالى: "**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، اِلآفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصيف، فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا البَيْتِ الّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ، وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ**"[2] وقد أفردت هذه السورة بأكملها للحديث عن الرحلة. وهي رحلة قريش التجارية. فكما هو معلوم أن أهل مكة المكرمة اتجهت أنظارهم إلى التجارة بحكم موقع مكة « بواد غير ذي زرع » كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: "**رَبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنْتُ**

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002م، ص20.

[2]- سورة قريش: الآية، 1-4.

مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ اَلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ فَاجْعَلَ اَفْئِدَةً مِّنَ اَلنَّاسِ تَهْوِىَ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ اَلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون".[1]

فهذا الموقع جعلها منطلق التجارة، وأظهرت سورة قريش بوضوح رحلتها إلى الشام واليمن والتي جنت منها أرباحا طائلة انعكست أثارها على أوضاعها الاقتصادية، وغدت ذات مركز مالي خطير في الحجاز، وسوق لتبادل السلع، ولم يكن من هدفها الاكتفاء الذاتي فقط، بل قامت بتصدير الفائض عن حاجاتها إلى أطراف السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية والشام واليمن والسواحل الإفريقية المقابلة، حيث بلغت أحمال كل قافلة لتلك الجهات أكثر من ألف بعير"[2]

إلى جانب أن أكثر تجارها من سدنة وأهل بيت الله الحرام الذي زادت ماهيته في نفوس الناس عقب حادثة الفيل، فم يجرؤ أحد بالتطاول على تجار مكة : إذ إن الله تعالى من عليهم بهذا الأمان كما جاء في سورة قريش وعلى ضوء ذلك تمتعت مكة المكرمة بمكانة عظيمة وتقاطر الناس عليها استجابة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، هذا فيما يتعلق بالرحلات الخارجية أما الرحلات الداخلية فكانت :

*لأداء فريضة الحج بدافع ديني وكانوا يستفيدون من رحلتهم في التبادل التجاري حيث كانت تعقد الأسواق قبل الحج وبعده.[3]

*الرحلات إلى أسواق العرب التي أقاموها في نواح متعددة من جزيرتهم وأشهرها سوق" عكاظ"[4]و"ذي مجاز"[5]و"مخبة"[6].

---

[1]– سورة إبراهيم: الآية، 14–37.

[2]– جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، الدار العربية للكتاب ، القاهرة،مصر، د.ط، 1928م،ص220–221.

[3]– عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر الحجاز في القرينين السابع والثامن هجري – دراسة تحليلية مقارنة–، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1994م،ص50.

[4]*– عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية كانوا يجتمعون فيه كل سنة ويتفاخرون فيه.

[5]*– ذي مجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الإمام علي فرسخ من عرفة يقيمون فيه ثمانية أيام من ذي الحجة بعد انصرافهم من سوق مخبة .

[6]*– مخبة : اسم سوق للعرب كان في الجاهلية وهو بمر الظهران قرب مكة ويقال له الأصفر وهو أسفل مكة وكان العرب يقيمون فية20 يوم من ذي القعدة .

لقد حرص العرب على إقامة هذه الأسواق سنويا وتميزت بتنافس الشعراء في إظهار عبقريتهم الشعرية ،إلى جانب استغلال هذه الأسواق أيضا لتبادل السلع التجارية المختلفة والترويج للأفكار والديانات الجديدة، فقد عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه في هذه المواسم ودعاهم للإسلام والدفاع عنه .

*الانتقال سعيا وراء العشب والماء، لأنهما قوام حياة العرب في ذلك الوقت، فهذه الرحلات الثلاث داخلية يقومون بها سنويا وبانتظام داخل بلادهم، ولقد لفت القرآن الكريم الانتباه لفوائد وأنواع الرحلات ويمكن إدماجها في الأتي :

1-الرحلة فرارا بالدين من أرض الشرك إلى الإسلام .

2-الرحلة في طلب العلم .

3-الرحلة للحج .

4-الرحلة لتجارة

والرحلة وردت في السنة النبوية بصفتها قولا وفعلا وتقريرا فإذا سافر الرسول صلى الله عليه وسلم قال :"**اللـهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللـهم أصبحنا في سفر و أخلفنا في أهلنا اللـهم إني أعوذ بك من و عثاء السفر وكآبة المنقلب ومن سوء المنظر في الأهل والمال اللـهم أقبض لنا الأرض وهون علينا السفر** "[1].

والدين الإسلامي قدر متاعب السفر فخفف على المسافرين بعض الواجبات الدينية في الصوم والصلاة، فقال تعالى: "**وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا اَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أخَرَ**"[2].

وعليه بإمكان المسافر أن يفطر دون إثم كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إن شئت فصم وإن شئت ففطر**"[3].

---

[1]- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى في ذيله الجوهر النقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد دكن، ط1352،1هـ، ص250.

[2]- سورة البقرة: الآية،184.

[3]- الترميذي أبو عيسى بن صورة: الجامع الصحيح لسنن الترميذي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، دط، 1987م، ص91.

5/-أنواع الرحلات :

كانت الرحلة عنصرا قويا في حياة المجتمع الإسلامي لذا تعددت أنواع الرحلات، وكان لها حيزا من التشريعات من خلال القرآن والسنة النبوية فالرحلات و- إن تعددت وذلك من خلال اعتماد الهدف الأول منها- فإنها قد تجمع الأنواع كلها رحلة واحدة.

لذا نستطيع أن نلتمس أنواع الرحلات من خلال الأسباب والغايات التي تقام من أجلها:

أ-الرحلة الدينية:

إن الرحلة الدينية تقع مابين هجرة وجهاد وحج، فالهجرة هي أولى أشكال الرحلة الدينية فقد قام بعض المسلمين إلى الحبشة فرارا بدينهم من اضطهاد قريش وظلمها، فهي أولى الرحلات في سبيل الله، والهجرة الثانية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، قال تعالى: "**وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَّخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا اِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** "[1].

وروى عنه صلى الله عليه وسلم :"**إنَّمَا الأعمال بالنّيات وإنّما لكلِّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** "[2].

وفي كتب الحديث شروح كثيرة حول فرض قيام الهجرة على كل مسلم يسكن في دار الحرب إذ يجب الانتقال إلى دار السلام أما رحلة الحج إلى بيت الله الحرام فهي قديمة منذ أيام خليل الله إبراهيم "عليه السلام" قال تعالى : "**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَاتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** "[3].

وكان المسلمون يأتون إلى مكة من كل حدب وصوب لأداء فريضة الحج متخذين مسالك عديدة ومتعددة.

ب- الرحلة العلمية:

---

[1]- سورة النساء: الآية 99.

[2]- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى في ذيله الجوهر النقي،ص253.

[3]- سورة الحج: الآية 25.

إن أولى القصص القرآنية حول الرحلة العلمية جاءت عن رحلة موسى عليه السلام ولقاءه للرجل الصالح قال تعالى :"**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ اَمْضِيَ حُقُبًا، فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ أَرَآيْتَ إِذَ اَوَيْنَآ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنَ اَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا، قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا، فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** "[1].

إن الإسلام قد حث المسلمين بعامة على طلب العلم والتعلم من خلال القرآن والحديث، في الحث على طلبه والاستزادة منه قال تعالى :"**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** "[2].

و بما أن أحد سبل التعلم وطلب العلم هو الارتحال فقد شد الرحال الكثير من المسلمين باتجاهات مختلفة من أجل طلب العلم حيث "أصبح الارتحال أشبه بالضرورة اللازمة "[3]

وقد أكدت السنة النبوية على أهمية طلب العلم فجاءت متممة لما وردت في القرآن الكريم ، بما فيها من أحكام شرعية وإيضاحات ،فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على الترحيب بطلبة العلم الذين يقدمون على مسجد فقال :"من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا الخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره"[4] .

حيث أن الله عز وجل خالق كل شيء ومدبره ومسخره للإنسان وبالتالي وضع في الإنسان الدافع لاكتشاف كل ما حوله والاستفادة منه، في معرفة عظمة الخالق. قال تعالى: "**وَسخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**"[5] .

---

[1]– سورة الكهف : الآيات 59_65.

[2]– سورة طه : الآية 111.

[3]-ساجدة عبد كاظم الحساني: رحلات المغاربة الأندلسيين إلي الحجاز في القرنين السادس والسابع هجريين (الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين، الأستاذ المساعد الدكتور رياض حميد مجيد الجواري، -رسالة ماجستير- جامعة الكوفة، 2010م، ص22.

[4]– محمد ابن يزيد أبي عبد الله ابن ماجة القزويني: سنن المصطفى بحاشية السندي، مركز البحوث، مطبعة تازي، مصر، ج1، دط، دت، ص97.

[5]– سورة الجاثية: الآية 12.

ج- الرحلة التجارية :

لقد مهر العرب في التجارة وان كان ذلك داخل نطاق محدودة في الجاهلية، فهم يرحلون رحلتين في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن، ولكن بعد إسلامهم اتسع نطاق تجارتهم تبعا لاتساع دولتهم "[1]؛ بل قد تعداه إلى أما كن لم يصلها غيرهم ولم يكتفوا بالرحلة برا، بل ركبوا البحر أيضا خاصة بعد أن وجه الله أنظارهم لذلك قال تعالى :"**رَبُّكُمْ الذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** "[2]، لم يكن القرآن الكريم وحده الحاث على الرحلة في طلب العلم، بل إن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيها الشيء الكثير الدال على فضل العلم وطلبه والحث على ذلك ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:"...**ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده** "[3].

وقد كان للموقع البحري للعرب أهمية في ظهور علاقات تجارية مع الهند والصين فكانت مراكبهم تأتي إلى بلاد العرب ومراكب بلاد العرب تذهب بالاتجاه المعاكس أيضا.

و لعل من أشهر الرحلات في المحيط الهندي و التي تمت خلال النصف الثاني من (القرن الثالث هجري/التاسع ميلادي).رحلة سليمان التاجر المعروف بالسيرافي (237هـ/851م) والذي رحل من سيراف إلى بلاد الهند والصين بقصد التجارة، وقد جاءت أخبار رحلته عن طريق تاجر آخر يدعى أبي زيد السيرافي (304هـ/916م)[4].

وهكذا اتسعت أفاق الرحلة التجارية وأصبح العرب فاتحين ملاحين مهرة حيث ارتادت سفنهم البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر قزوين والمحيط الهندي وسواحل المحيط الأطلسي الشرقية.

د- الرحلة الرسمية:

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية، ص36.

[2]- سورة الإسراء : الآية 66.

[3]- مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي، ج17، ص21.

[4]- علي البصري: رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونسيا (237هـ _ 851)، مطبعة دار الحديث، بغداد، د ط، 1961م، ص4.

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية أثره في ظهور هذا النوع من الرحلة الرسمية من قبل الحكام والأمراء فيسافرون بوصفهم رسلا أو مبعوثين وسفراء ،وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الرحلات قد بدأت في ترجمة عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ،إلا أنها كانت بشكل محدود ،ومن ذلك رحلة "تميم الداري "وهو صحابي ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قرب الخليل، ورحلة "عبادة بني الصامت " بتكليف من أبي بكر الصديق رضي الله عنه قاصدا ملك الروم يحثه على الإسلام[1].

كما يضم هذا النوع كلا من الرحلات التكليفية، والإدارية و السفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها: "تفقد أمر الرعية أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة أو الإتيان بأخبارها ،فقد تكون في إطار التجسس أو الاستطلاع "[2].

وعدت السفارة الشكل الرسمي للرحلات، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحاكم ،وهي الرسالة التي يتنافس على أدائها من يتكلفون بها، إذا كانت تقترن في نفوسهم برفعة الدولة الإسلامية وعلو شأنها ،فالسفير ممثل لدولته وعنوان لرقيها، وكانت السفارة لا تنقطع بين الدول العربية وما جاورها من الدول لأغراض ومقاصد متنوعة، إما لتصفية الأمور السياسية أو لمقصد الصلح، وقد تكون نتاج علاقات سياسية[3] .

فالرحلات التي أرسلت لتأدية مهمة رسمية أو سفارة، بين الدول المغربية والدول التي ترتبط معها بعلاقات وثيقة، وهي رحلة خاصة ممولة من قبل السلطة المركزية في الدولة وقد خطط لها مسبقا ولها أهداف معلومة، وأغراض محددة منذ البداية، وقد جاب الرحالة السفراء مشارق الأرض ومغاربها، وعند عودتهم تجد كتابتهم مليئة بأوصاف مثيرة عن ترتيبات الدول وأنظمتها، ومراسم

[1]– كراتشكوفسكي أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، جامعة الدول العربية، ج1، د ط، 1957، ص53.

[2]–سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، –رسالة لنيل شهادة الدكتوراه–، إشراف: الشريف مريبعي، جامعة الجزائر، 2006–2007، ص20.

[3]-ينظر: نوال الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2001، ص40.

استقبلها السفراء، والوفود الرسمية الوافدة، من أبهة ووجاهة وتقاليد خاصة تبرز قوتها ومكانتها، فضلا من أوصافهم لمسالك الطرق، وعادات الناس[1] .

إذن فالرحلات السفارية تتعلق بتبادل السفارات بين الدول الإسلامية أو بينهم وبين الدول الأجنبية، وغالبا ما يسكت الرحالون عن الهدف الأساسي من سفرتهم، ويكتفون بالإشارة إلى الرغبة في استمرار السلام والعلاقات الحسنة مع البلد المزور وعقد الصفقات التجارية، وتحدثت كتب التاريخ عن العديد من السفراء ودورهم المتميز في الدفاع عن بلدانهم وتحديد مواقفهم من حضارة الأخر ونسوق على سبيل المثال من الغرب الإسلامي والمغرب رحلة السفير عبد الله بن العربي المعافري صحبة ابنه أبي بكر اللذين توجها إلى الخليفة العباسي ببغداد بعد موقعه الزلاقة، فخلف رحلته المعروفة "بقانون التأويل"، والسفير الثاني يحي بن الحكم الغزال إلى بلاد النورماند والقسطنطينية في منتصف القرن التاسع الميلادي، والسفير الثالث هو محمد بن عثمان المكناسي ،وخلف ثلاث رحلات هي :(الإكسير في فكاك الأسير) والثانية تحمل عنوان (البدر السافر) والثالثة سماها :(إحراز المعلى والرقيب)[2].

[1]- لخضر حشلاني وآخرون: الرحلة المغربية قضايا وظواهر،ص51.

[2]-لخضر حشلاني و آخرون: الرحلة المغربية قضايا وظواهر،ص51-52.

الفصل الثاني:رحلة ابن بطوطة

الفصل الثاني: رحلة ابن بطوطة

المبحث الأول:رحلة ابن بطوطة إلى الحج

1- ابن بطوطة يذكر المنبر الكريم

2 - ذكر الخطيب والإمام بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

3- ذكر مدينة مكة المعظمة

4-ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه

5-ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما

6-ذكر الميزاب المبارك

7-ذكر الحجر الأسود

8 -ذكر زمزم

9-ذكر الصفا والمروة

10- ذكر شعائر الحج وأعماله

11- ذكر كسوة الكعبة

12-ذكر بعض المكارم والأخلاق لأهل مكة

المبحث الثاني: البعد الفني والجمالي في رحلة ابن بطوطة

أ- الموتيف motif

ب- الخيال الفني والتاريخي

الفصل الثاني: رحلة ابن بطوطة

إذا ما ذكر الرحالة في التراث كان ابن بطوطة أول من طرق باب الذاكرة، ليتراءى في المخيلة الشعبية رجلا جوالا قطع البلاد في أولها إلى آخرها، فقد حاز ابن بطوطة على صورة " شعبية " جعلت منه مثلا سائرا، دون أن يكون لدى معظم من يذكرونه شخصية معروفة لديهم بشكل علمي وموضوعي. وكما تحولت بعض الشخصيات التاريخية إلى أبطال سير شعبية بعيدة كل البعد عن سيرة أصحابها الحقيقية، فقد ظهرت لابن بطوطة أيضا سيرة شعبية تسمى بمغامرات ابن بطوطة، الأمر الذي يدل على المكانة التي استحوذ عليها هذا الرحالة في الذاكرة الشعبية العربية الإسلامية.

التحفة هي الشيء الثمين الذي يبقى خالدا ويدوم ذكره على مر الأزمنة والعصور، وقد كان ابن بطوطة على وعي بهذه المسألة لما سمى رحلته " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". لتكون بذلك تحفة للناظرين، ومقصدا لمن يبحثون عن عجائب وغرائب البلدان التي ظلوا يسمعون بها قط، فغرائب الأمطار هي السبل العربية عن المتلقين وعجائب الأسفار هي تلك الأخبار والقصص العجائبية (الفنتاستيكية) التي تثير استغراب المتلقين مما رواه ابن بطوطة.

إن كتاب " تحفة النظار في غراب الأمصار وعجائب الأسفار " أو كما يسمى أيضا "رحلة بن بطوطة " يعتبر سجلا تاريخيا جغرافيا أدبيا في نفس الوقت فهو لم يكتف بما وصفه في هذه الرحلة من عادات وتقاليد ووصف مناطق جغرافية؛ بل كانت له فيها بصمة أدبية كان لها دور في وقتها وبقيت في رفوف المكتبات نرجع إليها كأهم المصادر في كل المراحل التي يعيش فيها الإنسان إلى يومنا هذا نظرا للمعلومات المهمة التي تستدل بها ولا يمكننا الاستغناء عنها.

والرحلة التي بين أيدنا تعتبر من صنف الرحلة الدينية والتي عرفناها سابقا وهذه الرحلة ساهمت بشكل كبير في إطراء فن الرحلة، وذلك من خلال أسلوبه البسيط في وصفه للأماكن المقدسة التي زارها وذكر الأحداث التي عاشها في رحلته هذه.

إن الرحلة الدينية لابن بطوطة والمتمثلة في رحلته إلى مكة المكرمة بغرض أداء مناسك الحج وزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث كان الحج من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق، وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال، فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس. إن ابن بطوطة في رحلته هذه لم يكتف بالحصول على الثواب فقط إلا أنه زادنا تعرفا بالمنطقة من حيث تعريفها جغرافيا، واقتصاديا وتعريفه للأحوال الاجتماعية في البلاد وما كان تطرق إليه عبر طول طريقه إلى هذه البلاد وما صادفه من أحداث وظواهر مختلفة.

1/ رحلة ابن بطوطة إلى الحج:

" قال الشيخ أبو عبد الله المعروف بابن بطوطة: كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلامّ، منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركبٍ أكون في حِملته لباعثٌ على النفسِ شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامنٍ في الحيازيمِ، فحزمت أمري على هجرة الإناث من الأحباب والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيورِ للوكورِ، وكان والديّ بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبًا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبًا، وسنّي يومئذٍ اثنتان وعشرون سنة "[1].

ودع ابن بطوطة أباه وأمه وغادر طنجة برا في طريقه إلى الحج مع رفقة من المسافرين، واجتاز معهم شمالي المغرب والجزائر حتى وصل إلى مدينة بجاية فنزلوا ضيوفا

[1]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص33.

بها ثم آن وقت الرحيل فسار الركبُ إلى تونس ثم إلى ليبيا ومنها إلى مصر، وفي مصر أعجب ابن بطوطة كثيرا بمدينة الإسكندرية، وبعدما زار عدة مدن بمصر غادرها عبر صحراء سيناء، ودخل فلسطين فزار مدينة غزة ثم القدس وزار المسجد الأقصى ثم راح يتجول في أرض فلسطين.

واصل ابن بطوطة بعد ذلك رحلته إلى لبنان فرأى مدينة بيروت، ثم اتجه إلى دمشق فبهر بجمالها وبساتينها وجامعها الأموي وأسواقها ومدارسها[1]

اجتمع في دمشق ركب الحجيج وكان يضم كثيرين قادمين من العراق وآسيا الصغرى ومصر وخراسان، ثم سار إلى بيت الله الحرام، وفي الطريق رأى ابن بطوطة مواطن لها ذكريات في نفوس المسلمين، " فقد رأى مدينة "بصرى" التي نزل بها الرسول –صلى الله عليه وسلم– حين كان في تجارة للسيدة خديجة رضي الله عنها[2]، ورأى مبرَك ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم ببصرى وقد بنيّ عليه مسجد عظيم، زوار المسجد النبوي بالمدينة"[3].

لقد تمكن الركب الشامي ومعهم ابن بطوطة من دخول المدينة المنورة، وهو يصف:

1- المسجد النبوي الشريف:

قائلا: " المسجد المعظّم مستطيل تحفه من جهاته الأربع بلاطات دائرة به، ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل، ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوتة، والروضة المقدسة صلوات الله وسلامه على سكانها، في الجهة القبلية مما يلي: الشرق من المسجد الكريم، وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله، وهي مؤزرة بالرخام البديع النحت، الرائق النعت، قد علاه تضميخ المسك والطيب مع مرور الأزمان، وفي الصفحة القبلية منها مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم، وهناك يقف الناس للسلام مستقبلين الوجه الكريم، مستدبرين القبلة، فيسلمون وينصرفون يمينا إلى وجه أبي بكر الصديق، ورأس أبي بكر

[1]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص223.

[2]- المصدر نفسه: ص126.

[3]- المصدر نفسه: ص 126.

رضي الله عنه عند قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ينصرفون إلى عمر بن خطاب، ورأس عمر عند كتفي أبي بكر رضي الله عنهما"[1]، " وفي الجوف من الروضة المقدسة، زادها الله طيبا، حوض صغير مرخّم، في قبلته شكل محراب، يقال: إنه كان بيت فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم تسليما، ويقال أيضا هو قبرها، والله أعلم. وفي وسط المسجد الكريم دفة مطبقة على وجه الأرض، مقفلة على سرداب له مدرج يفضي إلى دار أبي بكر رضي الله عنه خارج المسجد، وعلى ذلك السرداب كان طريق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى داره، ولا شك أنه هو الخوخة التي ورد ذكرها في الحديث، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإبقائها."[2]

2- ابن بطوطة يذكر المنبر الكريم:

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جدع نخلة بالمسجد، فلما صنع له المنبر وتحول إليه من الجدع حنين الناقة إلى حوارها*، وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل إليه فالتزمه فسكنَ، وقال: لو لم ألتزمه لحن إليّ يوم القيامة. واختلفت الروايات فيمن صنع المنبر الكريم، فروي أن تميما الداري رضي الله عنه هو الذي صنعه وقيل: إن غلاما للعباس رضي الله عنه صنعه، وقيل: غلام لامرأة من الأنصار وورد ذلك في الحديث الصحيح، وصنع من ظرفاء الغابة، وقيل من الأثل، وكان له ثلاثة درجات، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقعد على علياهن، ويضع رجليه الكريمتين في وسطاهن، فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه قعد على وسطاهن، وجعل رجليه على أولاهن، فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجليه على الأرض، وفعل ذلك عثمان رضي الله عنه صدرا من خلافته"[3].

---

[1] - ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص129.

[2] - المصدر نفسه: ص129.

*الحوار بضم الحاء: ولد الناقة من وقت ولادته إلى وقت فطامه.

[3] - ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص134.

3- ذكر الخطيب والإمام بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم:

وكان الإمام بالمسجد الشريف في عهد دخولي إلى المدينة بهاء الدين بن سلامة من كبار أهل مصر، وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بقية المشايخ، عز الدين الواسطي، نفع الله به، وكان يخطب قبله ويقضي بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري.[1]

فيذكر أن سراج الدين هذا أقام في خطبة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة، ثم إنه أراد الخروج بعد ذلك إلى مصر، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ثلاث مرات، في كل مرة ينهاه عن الخروج منها، وأخبره باقتراب أجله، فلم ينته عن ذلك وخرج، فمات بموضع يقال له: سويس*، على مسيرة ثلاث من مصر، قبل أن يصل إليها، نعود بالله من سوء الخاتمة، وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمه الله، وأبناؤه الآن بالمدينة الشريفة: أبو محمد عبد الله مدرس المالكية[2].

لقد وقف ابن بطوطة كثيرا مع المدينة المنورة، ووصف لنا المسجد النبوي وخدمه، وراح ينقل بعض حكايا الناس، مشاهيرهم ومغامريهم في تلك المدينة العطِرة، وهي حكايا تصف لنا الجانب الإنساني والاجتماعي في تلك البقاع المشرفة، فضلا عن ثقافة ذلك العصر.

على أن الركب بعدما قضى الزيارة للحرم النبوي الشريف ومكث غير قليل في تلك المدينة العطرة التي أحسن ابن بطوطة وصف مشاهدها وعمرانها وبقاعها وشخوصها، انتقل إلى وصف الطريق من جديد بين والمدينة، وهي طريق وعرة، شديدة الخطورة، حتى من الله عليهم بالوصول إلى مشارق مكة المكرمة.

يقول ابن بطوطة حين تراءت له نسائم مكة، وشم عبيرها وريحها، وتملىّ من بعيد ببهائها"، ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد

---

[1]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص134.

*سويس: الآن مدينة السويس إحدى محافظات مصر.

[2]- المصدر السابق: ص134.

المنيفة، والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبّها متمكّنا في القلوب فلا يحلّها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفا لفراقها، متولّها لبعاده عنها شديد الحنين إليها، ناويا لتكرار الوفادة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب حكمة من الله بالغة، وتصديقا لدعوة خليله عليه السلام، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، فإذا جمع الله بها شمله تلقاها مسرورا مستبشرا كأنه لم يذق لها مرارة..."[1].

4-ذكر مدينة مكة المعظمة:

"وهي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة، في بطن وادٍ تحفّ به الجبال، فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها، وتلك الجبال المطلّة عليها ليست بمفرطة الشموخ، والأخشان من جبالها هما جبل أبي قبيس، وهو في جهة الجنوب والشرق منها، وجبل قعيقعان، وهو في جهة الغرب منها، وفي الشمال منها الجبل الأحمر، ومن جهة أبي قبيس أجياد الأكبر، وأجياد الأصغر، وهما شعبان والخندمة، وهي جبل، وستذكر.(والمناسك كلها: منى وعرفة والمزدلفة) بشرق مكة شرّفها الله، ولمكة من الأبواب ثلاثة: باب المعلى بأعلاها، وباب الشبيكة من أسفلها، ويعرف أيضا بباب العمرة، وهو إلى جهة المغرب، وعليه طريق المدينة الشريفة، ومصر والشام وجدة، ومنه يتوجه إلى التنعيم، وباب المسفل، وهو من جهة الجنوب، ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم فتح مكة شرّفها الله، كما أخبر الله في كتابه العزيز حاكيًا عن نبيه الخليل بوادٍ غير ذي زرع، ولكن سبقت لها الدعوة المباركة، فكل طرفة تجلب إليها، وثمرات كل شيء تحبى لها، ولقد أكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب ما لا نظير له في الدنيا، وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يماثله سواه طيبا وحلاوة، واللحوم بها سمان لذيذات الطعوم، وكل ما يفترق في البلاد من السلع، فيها

[1]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص145.

اجتماعه، وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف واودي نخلة وبطن مُرْ، لطفا من الله بسكان حرمه الأمين ومجاوري بيته العتيق"[1].

5-ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه:

والمسجد الحرام في وسط البلد، وهو متسع المساحة، طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربعمائة ذراع، حكى ذلك الأرزقي، وعرضه يقرب من ذلك، والكعبة العظمى في وسطه، ومنظره بديع، ومرآه جميل، لا يتعاطى اللسان وصف بدائعه، ولا يحيط الواصف بحسن كماله، وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا، وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاث صفوف، بأتقن صناعة وأجملها، وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواره الرخامية أربعمائة وإحدى وتسعون سارية ماعدا الجصية التي في دار المندرة المزيدة في الحرم، وهي داخلة في البلاط الآخذ في الشمال، ويقابلها المقام مع الركن العراقي، وفضاؤها متّصل، يدخل من هذا البلاط إليه، ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي (حنايا) يجلس بها المقرئون والنّسّاخون والخيّاطون، في جدار البلاط الذي يقابله مساطب بدون حنايا، وعند باب إبراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سواري جصية، وللخليفة المهدي ابن الخليفة أبي جعفر المنصور رضي الله عنها آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام وإحكام بنائه، وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته في سنة سبع وستين ومائة "[2].

---

[1]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص146.

[2]- المصدر نفسه: ص146.

6-ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما:

والكعبة مائلة في وسط المسجد، وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا، ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الأسود والركن اليماني تسعة وعشرون ذراعا، وعرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الحجر الأسود أربعة وخمسون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليمني إلى الركن الشامي، وعرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا، كذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي إلى الركن العراقي ، وأما خارج الحجر فإنه مائة وعشرون شبرا والطواف إنما هو خارج الحجر وبناؤها بالحجارة الصم السعر، قد ألصقت بأبدع الإلصاق وأحكمه وأشده، فلا تغيرها الأيام، ولا تؤثر فيها الأزمان وباب الكعبة المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الأسود والركن العراقي، وبينه وبين الحجر الأسود عشرة أشبار، وذلك الموضع هو المسمي بالملتزم، حيث يستجاب الدعاء، وارتفاع الباب عن الأرض أحد عشر شبرا ونصف شبر، وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض الحائط الذي ينطوي عليه خمسة أشابر، وهو مصفح بصفائح الفضة، بديع الصنعة وعضادتاه وعتبته العليا مصفحات بالفضة، وله نقارتان كبيرتان من الفضة عليهما قفل، ويفتح الباب الكريم في كل يوم الجمعة بعد الصلاة، ويفتح في يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ورسمهم في فتحه أن يضعوا كرسيا شبه المنبر، له درج وقوائم خشب، لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها، ويلصقونه إلى جدار الكعبة الشريفة ....[1]

[1]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص147.

7- ذكر الميزاب المبارك:

والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر، وهو من الذهب، وسعته شبر واحد، وهو بارز بمقدار ذراعين، والموضع الذي تحت الميزاب مظنة استجابة الدعاء، وتحت الميزاب في الحجر هو قبر اسماعيل عليه السلام، وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب، متصلة برخامة خضراء مستديرة، وكلتاهما غريبة الشكل رائقة المنظر، وإلى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر عليها السلام، وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أشبار[1].

8- ذكر الحجر الأسود:

وأما الحجر الأسود فارتفاعه من الأرض ستة أشبار فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله، والصغير يتطاول إليه وهو ملصق في الركن الذي إلى الجهة المشرق، وسعته ثلثا شبر، وطوله شبر وعقد، ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ملصقة ويقال: إن القرمطي لعنه الله كسره وقيل: إن الذي كسره سواه، ضربه بدبّوس فكسره، وتبادر الناس إلى قتله وقُتل بسببه جماعة من المغاربة، وجوانب الحجر مشدودة بصفيحة من الفضة[2].

9- ذكر زمزم:

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود وبينهما أربع وعشرون خطوة والمقام الشريف عن يمين القبة، ومن ركنها إليه عشر خطا، وداخل القبة مفروش بالرخام الأبيض، وتنور البئر المباركة في وسط القبة، مائلا إلى الجدار المقابل للكعبة الشريفة، وهو من الرّخام البديع الإلصاق مفروغ بالرصاص، ودوره أربعون شبرا، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبر، وعمق البئر إحدى عشر قامة وهم يذكرون أن مائها يتزايد في كي ليلة جمعة وباب القبة إلى جهة

---

[1]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص149.

[2]- المصدر نفسه: ص 149.

الشرق وقد استدارت بداخل سقاية سعتها شبر، وعمقها مثل ذلك، وارتفاعها عن الأرض نحو خمسة أشبار، تملأ ماء الوضوء، وحولها مسطبة يقعد الناس عليها للوضوء[1].

10- ذكر الصفا والمروة:

ومن باب الصفا الذي هو من أبواب المسجد الحرام إلى الصفا ست وسبعون خطوة، وسعة الصفا سبع عشرة خطوة، وله أربع عشرة درجة عليا هن كأنها مسبطة، وبين الصفا والمروة أربعمائة وثلاث وتسعون خطوة، منها من الصفا إلى الميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة ومن ميل الأخضر إلى الميلين الأخضرين خمس وسبعون خطوة، ومن الميلين الأخضرين إلى المروة ثلاثمائة وخمس وعشرون خطوة، وللمروة خمسة درجات، وهي ذات قوس واحد كبير وسعة المروة سبع عشرة خطوة، والميل الأخضر هو سارية خضراء مثبتة مع ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعي إلى المروة[2].

11- ذكر شعائر الحج وأعماله:

" وإذا كان في أول يوم شهر من ذي الحجة، تضرب الطبول والدبادب في أوقات الصلوات بكرة وعشية، وإشعارها بالمسوم المبارك، ولا تزال كذالك إلى يوم الصعود إلى عرفات، فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب إثر صلاة الظهر خطبة بليلة، يعلم الناس فيها مناسكهم، ويعلمهم بيوم الوقفة، فإذا كان اليوم الثاني بكر الناس بالصعود إلى منى، وأمراء مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع، ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائما، فإذا كان يوم التاسع وحلوا من منى بعد صلاة الصبح إلى عرفة، فيمرون في طريقهم بوادي محسر، ويهزولون وذلك سنة، ووادي محسر هو الحد بين مزدلفة ومنى، ومزدلفة بسيط من الأرض فسيح بين الجبلين وحولهما مصانع وصهاريج للماء[3].

---

[1]- ابن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار، ص151.

[2]- المصدر نفسه: ص154.

[3]- المصدر نفسه: ص181.

12- ذكر كسوة الكعبة:

وفي يوم النحر يبعث كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري إلى البيت الكريم فوضعت في سطحه، فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيبيون في إسبالها على الكعبة الشريفة وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة من الكتان وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض **{ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا }**[1]، وفي سائر جهاتها طراز مكتوب بالبياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لائِح مشرق من سوادها، ولما كسيت شمرت أذيالها صونا من أيدي الناس، والملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة الشريفة، ويبعث مرتبات القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والفراشين والقومة، وما يحتاج له المحرم الشريف من الشمع والزيت في كل سنة، وفي هذه الأيام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقي، وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري أربعة أيام، فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم[2].

13-ذكر بعض المكارم والأخلاق لأهل مكة:

كما يذكر ابن بطوطة عن أهل مكة وفضائلهم: " ولأهل مكة الأفعال الجميلة، والمكارم التامة ، والأخلاق الحسنة، والإيثار للضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار للغرباء ومن مكارم أنهم إذا صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بلطف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم[3].

ومن أفعالهم الحسنة أن الأيتام الصغار يقعدون بالسوق، ومع كل واحد منهم قفتان كبرى وصغرى، فيأتي الرجل من أهل مكة إلى السوق فيشتري اللحم والحبوب والخضر، ويعطي ذلك الصبي. وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس، وأكثر لباسهم البيضاء، فترى

---

[1]- سورة المائدة: الآية 97.

[2]-ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص184.

[3]-فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص149.

لباسهم أبدا ساطعة ناصعة، ويستعملون الطيب كثيرا، ويكتحلون كثيرا و كثيرو السواك بعيدان الأراك الأخضر، ونساء أهل مكة فائقات الحسن، بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف، وهن يكثرون التطيب، وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة، فيأتين في أحسن زي وتغلب على البيت الحرام رائحة طيبهن، وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقا، لأهل مكة عادات حسنة في الموسم[1].

تلك بعض المشاهد التي رآها الرحالة الكبير ابن بطوطة في مشهد الحج لعام 726هـ قبل أكثر من سبعمائة عام، وعلى الرغم من تغير الواقع السياسي للأمة منذ ذلك التاريخ وإلى اليوم، فإن مشهد الحج الأكبر الذي يجمع الناس من كل فج عميق، يتواضعون فيه لله، ويشعرون فيه بالوحدة والقربة، سيظل هو الأخلد والأبقى على مرّ التاريخ.

2/: البعد الفني والجمالي في رحلة ابن بطوطة:

إن الرحلة فن من الفنون في حد ذاتها سواءا كانت من إنجاز رحالة بسبب رغبته الشخصية في معرفة الأمصار (الأماكن) أو بأمر من سلطان من السلاطين في العصر الوسيط لغرض معرفي أو لخدمة مصالح دولته أو لطلب العلم أو لأغراض أخرى إلا أنها تبقى مصدرا مهمّا على الرغم من مرور عدة قرون عليها وعلى هذا فإن ابن بطوطة لم يختلف عن غيره في كتابته للرحلة إلى البقاع المقدسة فكانت رحلته حجية، وزيارية وسفارية وعلمية واستكشافية. فكانت رحلته تحتوي على أطرف القصص وأجزلها نفعا لما فيها من فوائد تاريخية وجغرافية وأدبية، حيث يمتاز وصف ابن بطوطة بالسلاسة والبلاغة في آن واحد وفي مكة ووسط المشاعر المقدسة يسيل منه وصف رائق ورائع وجميل بالإضافة إلى ثنائية السارد[2] في الرحلة، فميزة أدب الرحلات أن السارد هو نفسه الذي قام بالرحلة على أرض الواقع أو تخيلها، لكن قارئ رحلة ابن بطوطة يجد ساردين هما ابن بطوطة صاحب

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص149

[2]- حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص49.

الرحلة، ثم ابن جزي كاتب الرحلة ومنقّحها والمضيف لها، ويمكن انطلاقا من الرحلة التمييز بين أسلوبيها أسلوب ابن بطوطة التقريري الجاف، ثم أسلوب ابن جزي الأدبي المسجوع,

مما تقدم، تثار مسألة أهمية رحلة ابن بطوطة من الناحية الأدبية والفنية في مقابل أهميتها التاريخية والجغرافية التي تواضع الباحثون على ايلائها لهذا الكتاب.

إن الرحلة على العموم تعتبر فنا أكثر مما هي جغرافيا رسمية، وتجدر إعادة النظر بكثير من الدراسات التي تتناول أدب الرحلة والجغرافيا بشكل عام، أو ابن بطوطة بشكل خاص لأنها تقدّم مفاهيم خاطئة يتوارثها الباحثون في دراسة تلوى أخرى، من ذلك مثلا القول إن ابن بطوطة قد وصف الإسكندرية وأبوابها ومنارها[1]، وقد ذكر آنفا كيف أنه اقتبس حرفيا هذه الأوصاف من العبدري. من الواضح أن افتقار الباحثين إلى مصادر تؤرخ بدقة لشعوب وممالك القرن الثامن الهجري دفعهم إلى التشبّث برحلة ابن بطوطة وغيرها من المصنّفات، لاستخراج تلك المعلومات وإن معظم الدراسات التي تناولت ابن بطوطة بالبحث عالجت رحلته من حيث الصدق والكذب[2]، وقد ذكر من قبل أهمية رحلة ابن بطوطة تاريخيا وجغرافيا كونها تقدّم معلومات هامة عن القرن الثامن الهجري، وكيف أنها تعتبر من المصادر الأساسية عن التاريخ الأوردو الذهبي، أنها المصدر الوحيد عن مملكة مالي وجزر المالديف/ ذيبة المهل في تلك الفترة، وإن أي باحث يعمل في التاريخ الإسلامي، لابد وأن يستعمل ابن بطوطة كأحد مصادره؛ ففي الطبعة الأولى لدائرة المعارف الإسلامية يذكر اسم بطوطة مئات المرّات. الحاجة إذن إلى مصادر تاريخية وجغرافية حولت نص ابن بطوطة من كتاب أدبي، جنسه أدب الرحلة إلى نص تاريخي– جغرافي، "حيث تضمّنت رحلات ابن بطوطة اكتشافات ومعلومات جغرافية ظلت المرجع الوحيد عن بعض أقطار إفريقيا وآسيا[3].

[1]– زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د ط،1981، ص141.

[2]– المرجع نفسه: ص385.

[3]–أحمد محمد عطية: أدب البحر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف النيل، القاهرة، د ط، 1119، ص114.

لقد جاءت المصنفات الجغرافية وكتب الرحلة في التراث العربي الإسلامي على النمط الأخباري الذي كان يلقى قبولا حسنًا عند الجمهور كما أن متطلّبات السّامعين عصرئذ كانت تفرض لغة بسيطة تنفتح على سائر اللّهجات، مع التقيّد بأصول الفصحى عند التّدوين، لذلك اعتمدت المصنّفات الجغرافية على" اللغة العربية الوسيطة " الشفهية بجوهرها، والبعيدة عن الفصحى القديمة، والمنفتحة على المصطلحات الأعجمية واللّهجات المحلية، والمحافِظة على البِنيات الأساسية الخاصة بالفصحى الكلاسيكية[1].

ومما يلفِت النّظر أن ابن بطوطة كان يشفع بعض الألفاظ الغريبة أو الأعجمية، أو المحلية بشروحِها أو بما يوضح المراد منها كقوله: "... وولدا الأمير هما شقيقان، الأكبر منهما اسمه " **تين بك** " و" **بك** " معناه الأمير، و" **تين** " معناه الجسد، فكأنه اسمه أمير الجسد، واسم أخيه "**جان بك** " ومعنى " **جان** " الروح فكأنه يسمى أمير الروح"[2].

وقد يوضح بعض الجمل الفارسية كقوله: " ويقولون بلسانهم: خرما وما هي لوت بادشاهي، معناه بالعربي: التّمر والسّمك طعام الملوك "[3]، كما كان يعرف أيضا لغة الهنود فهو يحفظ بعض الألفاظ الهندية والفارسية، فمن زيارته لمعظم البلدان يريد أن يخبرنا بمعرفته بلغات البلاد التي مرّ بها.

لقد جاءت بعض المؤلفات الجغرافية غاية في الصنعة اللّفظية والاعتناء بالأسلوب، فالمقدسي والمسعودي اعتنيا بعباراتهما عناية تندر عند سائر الجغرافيين العرب[4]، واحد من الأسباب الرئيسية لرواج رحلة ابن بطوطة، لاحقا، يكمن في أسلوبها السردي المميّز البسيط والعفوي، يقول "بالنثيا": إن العبدري يشبه ابن بطوطة في طريقة روايته الأخبار، ولكن

---

[1]- أندري ميكيل: جغرافية دار الإسلام للبشرية، تر: إبراهيم خودي، دمشق، سوريا، ج2، ط1، 1985، ص120.

[2]- علي إبراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب و الأندلس، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2013، ص69.

[3]- المرجع نفسه: ص

[4]- العربي إسماعيل: المصادر الجغرافية في القرن السابع الخجري، منشورات الكتب التجاري، بيروت، لبنان، د ط،1970، ص39.

أسلوبه جاء متكلّفا شديدًا في غوص وراء الألفاظ، فأضاع كثيرا من قيمة رحلته، على خلاف ابن بطوطة الذي كتب بأسلوب سهل لطيف، حيث كان حريص على تأدية المعنى فابتعد عن الاعتناء بزخرفة الأسلوب وتنميقه على حساب الفكرة، إلا أنه كان يلجأ أحيانا إلى تحسين الكلام باختيار عباراته[1]، وتزيينها ببعض السجعات التي تأتيه عفو الخاطر دون قصد، ولم تكن تسيء إلى أسلوبه كقوله في وصف شيراز: " ... هي مدينة أصيلة البناء، فسيحة الأرجاء، شهيرة الذكر، منيفة القدر،لها البساتين المؤنقة والأنهار المتدفقة، والأسواق البديعة، والشوارع الرفيعة، وهي كثيرة العمارة، متقنة المباني، عجيبة الترتيب، وأهل كل صناعة في سوقها لا يخالطهم غيرهم، حسان الصور، نظاف الملابس، ليس في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها، وبساتينها وأنهارها، وحسن صورس إلا شيراز"[2]

فالكاتب يعنى باختبار ألفاظه وتنقيح عباراته، من دون الانسياق وراء الأسجاع المتكلفة، وسرعان ما يتحرّر من السجع، ويعود إلى الأسلوب المرسل الذي يتسم بالعفوية الوضوح[3].

وقد اتبع ابن بطوطة السرد التلقائي والروائي في رحلته، وهو الشكل المعهود في أدب الرحلة عند المسلمين من حيث تصوير التجارب الشخصية أثناء أداء مراسم الحج، ولكن ما ميزه عن غيره من المؤلفين الرحالة أنه أعطى لأدب الرحلة أبعادا جديدة عندما أصبحت دوافعه الشخصية الأخرى أقوى من دافع الحج، فإذا كانت الرحلة في السابق تتركز حول زيادة الأماكن المقدسة، فإن ابن بطوطة مشى على هذه السنة في مستهل رحلته، إلا أنه عكف فيما بعد على هدف الأصلي الذي ميز رحلته، فأسس ولو بشكل غير واعٍ، لفن الرحلة القائم على وصف العالم المعروف والمجهول بمن يسكنه من شعوب، " ثم تعددت أهداف رحلته واتسعت لطلب العلم والمعرفة الواقعيين"[4].

---

[1]- علي إبراهيم: أدب الرحلة في المغرب والأندلس، ص68.

[2]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غراب الأمصار وعجائب الأسفار، ص223.

[3]- علي إبراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب العربي والأندلس، ص69.

[4]- أحمد محمد عطية: أدب البحر، ص111.

أ- الموتيف motif:

إن ما ثم إثارته من إشكاليات حول رحلة ابن بطوطة تشترك فيها معظم مؤلفات أدب الرحلة العالمي، شرقه وغربه، فإن أيّا من كتب الرحلة العربية الكلاسكية لم تتم مقاربته نصيا وفنيا، بل اعتمد الدارسون على هذه الكتب كمصادر تاريخية وجغرافية، ولربما كان أسلوب بعضها المسجوع، والذي يقترب إلى الصغة الفنية المتكلفة في كثير من الأحيان، سببا لنفور الجمهور المعاصر منها وانعدام شعبيتها بالتالي من الممكن اعتبار رحلة ابن بطوطة جزءا من أدب الرحلة العالمي، مع خصوصية يتفرّد بها كل كتاب وفقا للحضارة التي ينتمي إليها؛ فعندما يصف ابن بطوطة أهل عدنٍ بأنهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب ويؤثرون على الفقير"[1]، يصفهم ماركو بولو بأنهم أعداء لدودون للمسيحيين، وأن سلطانهم كان قد أقحم ثلاثين ألفا من جنده في مدبحة ضد المسيحيين في عكا[2]، هذه التناقضات في طريقة عرض الأمور هي ما يميز أدب الرحلة ويغنيه في الوقت نفسه.

في سبيل تأكيد عالمية أية رحلة وانتمائها إلى ذخيرة ما كتب في هذا الأدب، يجب النّظر إلى القواسم المشتركة بين هذه الرحلات جمعيا، وذلك يتم عن طريق توظيف " الموتيف motif".

الموتيف هو ثيمة theme متكررة في العمل الأدبي، والثيمة قد تصبح موتيفا والعكس غير صحيح، فتكرر الثيمة نفسها في عدد من الأعمال يجعل منها موتيفا، وتكرر مجموع من الموتيفات في مجموعة من الأعمال يجعلها تنتمي إلى جنس أدبي واحد.

قد يكون الموتيف ناتجا عن طبيعة الرحلة ذاتها فيكون أمرا حتيما طبيعيا، من ذلك مثلا تعرض الحالة إلى السرقة سواء في العصور القديمة أم الحديثة، فحصول السرقة لمسافر في أرض غريبة أمر طبيعي، لذلك يلاحظ أن معظم الرحالة يصفون تجربة السرقة التي

---

[1]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في الثرات العربي، ص497.

[2]- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة،الكويت،د.ط،1989م، ص22.

يمرّون بها خلال أسفارهم. تكرر تيمة السرقة هذه في كتب الرحلة جعل منها موتيفا شائعا على وجه العموم، حتى لو أدى ذلك إلى اختلاف حدث السرقة في حال لم يتعرض إليها الرحالة، وقد كان التعرض للأخطار في الرحلات الأوروبية القروسطية أمرا يجب ذكره وتفصيله في الرحلة، حتى أنه أصبح في كثير من الأحيان هدف الرحلة ذاتها[1]، وذلك من أجل تكريس تجربة الألم والتطهير عند المسيحيين، فما كان من الرحالة اللاحقين، الذين لم يمرّوا بهذه التجارب إلا الإدعاء بمُقاساتها، كي تنسجم كتاباتهم مع النمط العام لأدب الرحلة، وبالتالي تصبح ثيمة التعرض للأخطار في الرحلة موتيفا شائعا في الرحلة، ونتيجة التعرض لهذه الأهوال، قد يتم أسر الرحالة من قبل أية جهة؛ فابن بطوطة أسر من قبل " كفار " الهنود عندما سلبوه والقافلة "[2]، والرحالة هبرر ذكر أنه قد أسر من قبل الأتراك، وبالتالي فإن عملية الأسر تصبح موتيفا شائعا في الرحلات، إن تكرر هذه الموتيفات عند رحالين ينتمون لثقافات مختلفة حيث لم يتعرف بعضهم على البعض الآخر، يكرّس ما ذكر حول عالمية أدب الرحلة واشتراكه عند جميع الحضارات بخصائص واحدة، فحب الوصول إلى السلطة وحيازة الأشياء الثمينة و البحث عن المتعة الجنسية أشياء متواترة عند معظم الرّحالين، وقد شوهد ذلك عند ابن بطوطة، كذلك فإن الخلط الكرونولوجي، وسقطات الذاكرة أمران يكثران عند الراحلين، خاصة في القرون الوسطى لقلة التدوين؛ وكما أن الباحثين اعتذروا لابن بطوطة لمرور ثمانية وعشرين عاما في رحلته وبالتالي انعدام الدّقة في تواريخه وأخباره، فقد اعتذروا أيضا لماركوبولو لمرور خمسة وعشرون سنة على تجواله وبالتالي خيانة ذاكرته له.

[1]- حسن بن محمد الوازن الفاسي: وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1787، ص200، 207.

[2]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص375.

بعض الأخطاء التاريخية في أدب الرحلة إذن ناتج عن القصور في الذاكرة الحاصل من تدوين الأحداث بعد عدة سنوات، فتكون الأحداث مختلطة في ذهن الكاتب[1]، وبالتالي تصبح هده الظاهرة شائعة ضمن عدد من الرحلات.

ومن جهة أخرى، فإن إيراد التفاصيل الشديدة الدقة في رحلة ابن بطوطة، كذكره أرقاما تفصيلية، كانت قد أقنعت العلماء بصدقه كمثال على ذلك قوله: " ... وكان ملك الصين قد بعث إلى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب من الكمخا منها مائة من التي تصنع بمدينة الخنساء وخمسة أمنان من المسك وخمسة أثواب مرصعة بالجوهر، وخمسة من التراكش مزركشة وخمسة سيوف، وطلب من السلطان أن يأذن له في بناء بيت الأصنام بناحية جبل قراجيل المتقدم ذكره ويعرف الموضع الذي هو به بسمهل ... وإليه يحج أهل الصين وتغلّب عليه جيش الإسلام بالهند فخربوه وسلبوه، فلما وصلت هذه الهدية إلى السلطان كتب إليه بأن هذا المطلب لا يجوز في ملّة الإسلام إسعافه ولا يباح بناء كنيسة بأرض المسلمين إلا لمن يعطي الجزية ...."[2]، ربما كان ذكره لهذه الأرقام الدقيقة لإقناع القارئ فقط بدقة روايته، وبذلك تمسي عملية ذكر التفاصيل الدقيقة موتيفا شائعا في أدب الرحلة، كذلك فإن الرحالة على وجه العموم يخافون من عدم تصديق الجمهور إياهم، فمعاصرو ماركوبولو نعتوه بالمدّعي والمتصنع، والرحلات عامة، والقروسطية منها خاصة، تواجه ظاهرة تكذيب الرحالة، لتصبح هذه الظاهرة موتيفا يتكرر في كثير من الرحلات.

بغض النظر إذن عن صحة رحلات ابن بطوطة أو بطلانها، ستبقى هذه الرحلات بمثابة لغز لمن يمكن حله، إذ يجب أن نذكّر أنفسنا دوما أن رحلة ابن بطوطة هي عمل أدبي قبل كل شيء، هي مسح للعالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري بشكل سردي روائي وليست مذكرات رحالة دونت على الطريق.

---

[1]- حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، ص51.

[2]- ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص541.

ب- الخيال الفني والتاريخي:

لا أدل على المظهر الفني لرحلة ابن بطوطة من تشبيه كثير من الدّارسين إياه بالسّندباد، خاصة في رواياته عن الصين والهند التي اعتبرت في مستوى واحد مع أسفار السندباد[1]، فقد رسم ابن بطوطة لنفسه شخصية سندبادية في هذه المرحلة، القوافل تنهب والمراكب تخرق والماس يقتلون وهو يخرج غانما سالما، في حين لم تشبه روايات ابن جبير في رحلاته البحرية بالقصص السندبادية، لأنها تقترب كثيرا من الواقعية والصدق. أما في نص ابن بطوطة، فالقارئ سرعان ما يخال أن أسفار ابن بطوطة البحرية، أنما هي جزء من رحلة سندبادية حافلة بالغرائب والمتعة.

لا شك أن ابن بطوطة كان يشفع حكاياته الحقيقة بحكايات خرافية، وهو في كل ذلك يتقن الصنعة القصصية، والرحالة بشكل عام يكتب بمخيلة القصّاص الذي يسند الواقع بالخيال والحقيقة بالأسطورة[2]، لقد كان ابن بطوطة راويا ماهرا، وهو مثل أي رحالة آخر سعى إلى تزويق رحلته بمختلف العناصر التي ستؤمن له إقبال القرّاء على كتابه، حيث قال فيه كاتبه محمد بن جزي الكلبي في مقدمته: " نفدت الإشارة الكريمة بأن يملي [الرحالة] ما شاهده في رحلته من الأمصار، وما علق بحفظه من نوادر الأخبار، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار وعلمائها الأخيار وأوليائها الأبرار، فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر، من كل غريبة أفاد باجتلائها، وعجيبة أطرف بانتحائها،غير أن الفترة التي عاش فيها ابن بطوطة اتسمت بغلَبَة النثر الفني وتفوّقة[3]، وبالتالي فإن محاولات ابن جزي في تنقيح نص الرحلة بلغة العصر عن طريق تضمين مقاطع نثرية بليغة ومقاطعات شعرية لم يكثر ابن بطوطة من رواياتها، هذه المحاولات لم تكن ذات فائدة، بل على العكس فقد أثقلت النص البسيط بنصوص هجينة عليه، كذلك فإن منظومات ابن

[1]- كراتشوفسكي أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص456.

[2]-شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، كرنيش النيل، القاهرة، ط4، 1119، ص6.

[3]-كراتشكوفسكي أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص469.

بطوطة، لايبدو أنها لاقت استحسانا أو انتباها، على عكس منظومات من هم أقل شهرة منه كابن جزي والبلوي اللذين عدهما ابن الخطيب شاعرين فترجم لهما في الكتيبة[1].

لقد خلط الجيل الأول من المؤرخين ما شاهدوه عيانا بما عرفوه من القصص التراثية والخيال المحض، أما المؤرخون اللاحقون فقد وجدوا صعوبة كبيرة في تمييز صحيح الأخبار من باطلها وذلك لما في هذه العوالم الخيالية التي يبنيها الرحالة من لذة تصيب القارئ وتداعب خيال جمهوره بخرافات يودّون تصديقها بعدما نشأوا عليها في ذاكرتهم الجمعية، Collective Momory، فقد كان لكتاب الرحلة في الأزمان الماضية اللذة نفسها التي يخبرها جمهور القرن الواحد والعشرون عندما يشاهد أفلاما وثائقية عن غرائب البحار والأماكن القاصية والأجرام الفضائية.

إن رحلة ابن بطوطة هي مذكرات رحالة طوّع فيها الحقائق كي يخرج في النهاية بكتاب غني في ملاحظاته ودقته وعشوائيته وانتقائيته وتناقضاته، وسيبقى يمثل نوعية فريدة من الرجال على مدى الدّهور.

[1]- ابن الخطيب: لسان الدين، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د ط، 1963، ص223- 228.

خاتمـة

خاتمة:

على ضوء ما تقدم وما تم الوصول إليه من خلال هذه الدراسة المتمثلة في "فن الرحلات في الأدب العربي – ابن بطوطة – أنمودجا"، تمكنّا من الوصول إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

1- تعدد تعريفات أدب الرحلة حسب الدارسين لها وتطور مفهومها.

2- الإهتمام الواسع بهذا النوع من الأدب من قبل المستشرقين والعرب، فالرحلة هي محور كل جغرافي أو أديب.

3- تنوع الأسلوب في كتاب " رحلة ابن بطوطة " بين أسلوب ابن جزي المتقعر وأسلوب ابن بطوطة البسيط المعبر عن حيوية الرحالة ولغته القصصية.

4- احتواء هذه الرحلة على كثير من الموضوعات التي تهم الجغرافي والمؤرخ والعالم الاجتماعي والأديب.

5- معرفة أخبار الناس في البلدان التي زارها وشاهدها وعاش فيها من عاداتهم وتقاليدهم وملابسهم وأطعمتهم وأشربتهم، وبعض شعائرهم الدينية، فبفضل الرحالة أدركت بلدان وقارات لم تكتشف إلا بفضلهم.

6- إن الرحالة لم ينتقلوا بين الأمصار هباءا بل كانوا عازمين على إدراك حقائق سمعوها ومعايشة أقوام أرادوا نزع اللبس عن حياتهم وتقديمها بصورة أحسن وكذا إدراك مدى تطور مجتمعات وتقهقر أخرى.

7- أما وأن رحالتنا ابن بطوطة كان فحلا ونابغة، فقد كان سفير سِلم مند نعومة أظافره، وهذا وجه آخر من أوجه توظيف فعل الارتحال فيما ينشر السلم ويوطد العلاقات الإنسانية بين البشر بمختلف توجهاتهم واعتقاداتهم وحتى رؤاهم.

الملاحق

ملحق

التعريف بابن بطوطة

محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ولد في يوم الإثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة هجري الموافق لأربعة وثلاثمائة وألف ميلادي، هو رحالة ومؤرخ وقاضي وفقيه مغربي أمازيغي لقب بأمير الراحلين المسلمين .

خرج من طنجة سنة 725هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وتهامة ونجد والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وبلاد التتار وأواسط إفريقيا. واتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم – وكان ينظم الشعر– واستعان بهباتهم على أسفاره، وافته المنية سنة تسعة وسبعون وسبعمائة هجري الموافق لثمانية وسبعون وثلاثمائة وألف ميلادي.[1]

كان ابن بطوطة من أعظم الرحالة المسلمين وأوسعهم شهرة، سمي بشيخ الراحلين لكثرة طوافه في الآفاق، حيث أمضى 28عاما من حياته في أسفار متصلة ورحلات متعاقبة، كان أوفر الرحالة نشاطا واستيعابا للأخبار، وأشهرهم عناية بالحديث عن الحالة الاجتماعية في البلاد التي جال فيها، كما كان من المغامرين الذين دفعهم حب الاستطلاع إلى ركوب الكثير من الصعاب لاسيما في البحر. "لم يبلغ غيره ما بلغ من ذيوع الصيت في الشرق والغرب، بفضل شخصيته القوية التي تفيض حيوية، وبفضل ثقافته وعلمه وذاكرته النابضة، وإقباله على الحياة وتأمله لدقائقها، وتطلعه إلى الأفضل دائما في كل أمور العيش فضلا عن قوة الجسم والجلد وحب المعرفة والولع بالسفر[2]. فوصف كل ما شاهده وعرفه في مختلف البلاد التي زارها من سلاطين ونساء ورجال، ووصف ملابسهم وأطعمتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وأخلاقهم...

[1]- زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص369.

[2]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة، ص488.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش.

الحديث النبوي.

المصادر

1-ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

المراجع:

1-محمد فوزي حمزة: دواوين الشعراء العشرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م.

2-الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، دار ابن حزم، ط1، 2005م.

4-بطرس البستاني: دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، ج7، د.ط، 1883م.

5-د. صلاح الدين الشامي: عالم الفكر، دار صادر، بيروت، ط1، 1992م.

6-د.ناصر عبد الرزاق موافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)، جامعة القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، مكبة الوفاء، ط1، 1995م.

7-عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997م.

8_الخامسة علاوي: العجائبية في أدب الرحلات-ابن فضلان أنمودجا-، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، أبو ظبي، د.ط ،2011م.

9-لخضر حشلاني وآخرون: الرحلة المغربية قضايا و ضواهر، دار الضحى للنشر والإشهار، الجلفة، الجزائر، ط1، 2017م.

10-فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002م.

11-جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1928م.

12-عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر الحجاز في القرينين السابع والثامن هجري -دراسة تحليلية مقارنة-، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1994م.

13-البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى في ذيله الجوهر النقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد دكن، ط1،1352هـ.

14-الترميذي أبو عيسى بن صورة: الجامع الصحيح لسنن الترميذي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، دط، 1987م.

15-محمد ابن يزيد أبي عبد الله ابن ماجة القزويني: سنن المصطفى بحاشية السندي، مركز البحوث، مطبعة نازي، مصر، ج1، دط، دس.

16-مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي، ج17.

17-علي البصري: رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونسيا (237هـ _ 851م)، مطبعة دار الحديث، بغداد، د ط، 1961م.

18-كراتشكوفسكي أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، جامعة الدول العربية، ج1، د ط، 1957م.

19-ينظر: نوال الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2001م.

20-حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

21-زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د ط،1981م.

22-أحمد محمد عطية: أدب البحر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف النيل، القاهرة، د ط، 1119م.

23-أندري ميكيل: جغرافية دار الإسلام للبشرية، تر: إبراهيم خودي، دمشق، سوريا، ج2، ط1، 1985م.

24- علي إبراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب و الأندلس، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2013م.

25- العربي إسماعيل: المصادر الجغرافية في القرن السابع هجري، منشورات الكتب التجاري، بيروت، لبنان، د ط، 1970م.

26- حسن بن محمد الوازن الفاسي: وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1787م.

27- شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، كرنيش النيل، القاهرة، ط4، 1119م.

المعاجم:

1-ابن منظور: لسان العرب، تح ،عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، د ط، 1119م.

2-ابن الخطيب: لسان الدين، تح: إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، د ط، 1963م.

3-ابن منظور: لسان العرب، تح: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، ج3،(مادة رحل)، د.ط، د.ت، القاهرة، دس.

4-مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مصر، ط1، 1980م.

5-مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.

6-ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط1، 1993م.

7-وهب مجدي: معجم المصطلحات الأدب(إنجليزي،فرنسي،عربي)، مكتبة لبنان، لبنان ، ط1، 1974م.

8-ايميل بديع يعقوب، ميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة و الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1987م.

المذكرات:

1-سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، -رسالة لنيل شهادة الدكتوراه-، إشراف: الشريف مريبعي، جامعة الجزائر، 2006م-2007م.

2-ساجدة عبد كاظم الحساني: رحلات المغاربة الأندلسيين إلي الحجاز في القرنين السادس والسابع هجريين (الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين)، الأستاذ المساعد الدكتور رياض حميد مجيد الجواري، -رسالة ماجستير- جامعة الكوفة، 2009م-2010م.

فهرس

الموضوعات

فهرس المحتويات

شكر .....
إهداء.....
مقدمة .....
الفصل الأول: الرحلة (معناها، أنواعها وتطورها)
1- تعريف الرحلة..... 8
أ- لغة..... 8
ب- اصطلاحا..... 11
2- مفهوم أدب الرحلات..... 12
3- دوافع الرحلة وأسبابها..... 14
أ- دوافع ذاتية..... 14
ب- أسباب عامة..... 14
4- مفهوم الرحلة في القرآن والسنة..... 16
5- أنواع الرحلات 19
أ- الرحلة الدينية..... 19
ب- الرحلة العلمية..... 20
ج- الرحلة التجارية..... 21
د- الرحلة الرسمية..... 22
الفصل الثاني: رحلة ابن بطوطة
المبحث الأول: رحلة ابن بطوطة إلى الحج..... 27
1-ذكر المسجد النبوي الشريف..... 28
2- ابن بطوطة يذكر المنبر الكريم..... 29
3- ذكر الخطيب والإمام بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم..... 30
4-ذكر مدينة مكة المعظمة..... 31
5-ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه..... 32
6- ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما..... 33
7-ذكر الميزاب المبارك..... 34

8- ذكر الحجر الأسود..... 34
9- ذكر زمزم..... 34
10-ذكر الصفا والمروة..... 35
11- ذكر شعائر الحج وأعماله..... 35
12- ذكر كسوة الكعبة الشريفة..... 36
13- ذكر بعض المكارم والأخلاق لأهل مكة..... 36
المبحث الثاني: البعد الفني والجمالي في رحلة ابن بطوطة..... 37
أ- الموتيف motif..... 41
ب- الخيال الفني والتاريخي..... 44
خاتمة..... 47
الملحق..... 49
قائمة المصادر والمراجع..... 50

ملخص

تناولنا في هذا البحث موضوعًاً في الأدب القديم بعنوان: "فن الرحلات في الأدب العربي القديم –ابن بطوطة أنمودجًا-".

وقد احتوى هذا البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة.

مقدمة وتم الإشارة فيها للموضوع، مع ذكر أسباب اختياره، والخطة المعتمد عليها، كذا المنهج المتبع في الدراسة، وبعض الصعوبات التي واجهتنا أثناء إعداد البحث.

وفي الفصل الأول تطرقنا للتعريف بالرحلة وأنواعها ومفهوم أدب الرحلات وكذا الرحلة في القرآن والسنة.

أما الفصل الثاني فركّزنا فيه على التعريف بابن بطوطة، وكذلك خصصنا الفصل لنوع من الرحلات وهي الرّحلة الدينية في رحلة ابن بطوطة، كما تطرقنا إلى البعد الفني في رحلة ابن بطوطة .

واستوى البحث خاتمة ذكرت فيها النتائج المتوصل إليها، وبعدها قائمة المصادر والمراجع.

Abstract

We hav in this research a topic in the ancient literature entitlid "the art of trips in the arabic ancient literature – Ibn Batouta pattern- "

This research consistes: An introduction , two chopters and a conclusion. Starting with an Introduction the a mention to the topic and the causes for chosing it. And the plan we follow. Also the me thod followed in this study with a few difficulties which .

We face cluring the dervelopment of this reseorch.

In the first chapter , we start withe the definetion and the types of the trip, the notion of the literature of the trip and the trip in Quran and Sunah.

Howerver in the second chapter, we focus on the de fining about Ibn Batouta and alse we focused on a special type of trip which is the religions trip in Ibn Batouta trip. Mover , we mention the artistic dimention of the trip of Iban Batouta.

This research ripen a conclusion in which mention the finding we reach in this research and after the list of the resources and bibliographies.